آراءأبي الحسن على الندوي النقدية بالمديح النبوي

Critical Judgments of Abū al-Ḥasan 'Alī al-Nadawī in Prophetic Panegyrics

د. شميم مجيد *

د. خنساء محمّد أديب الجاجي **

Abstract

Abū al-Ḥassan 'Alī al-Nadawī is counted amongst the most celebrated Arabic and Islamic Intellectuals of the 20th century. Various are his services in the field of Literature available in the shape of books and articles. The present article discusses those writings of al-Nadawi which he scribed in the eulogy and love of our beloved Prophet (SAW). These include portions from his prophetic bibliographical work: "Sīrat al-Nabi", "al-Ṭarīq ilal Madīnah and Qaṣaṣ al-Nabiyyīn. He also translated poetry of non-Arabs written in the admiration and adoration of the Prophet (PBUH). He also expressed that how the poets of sub-continent had given sublime place to the subject of Prophetic panegyrics in their works. The present article analyses his critical views in this regard.

Keywords: Abū al-Ḥassan 'Ali al-Nadaw, Prophetic Panegyrics, Attachment of al-Nadawi with sīrah literature, al- Nadawi's creativity in writing sīrah of the Prophet

امتد للسيرة النبوية جناحان من النور أولهما وأهمهما الشعر، وثانيهما النثر متمثلاً في كتاب السير والشمائل، وكان الشعر سباقاً في ميدانه وسيظل الأكثر تأثيراً والأبهى تعبيراً، خاصة إن امتدت أنامل بعض الموسيقيين إلى شيء من هذا الشعر بنغم من أنغام السماء فزادته بهاء على بهائه.[1]

المديح النبوي سار في الناس على مر العصور والأزمان كنوع شعري بذاته سمى بالنبويات بالعربية وبالنعت بالفارسية والأردية، ونبغ فيه طائفة من الشعراء ونالوا تقديراً بالغاً في هذا النوع، وهذا النوع الجديد من المديح امتاز بجمعه لخصائص النسيب الرقيق بالمديح البليغ واجتمع فيه التعظيم والحب، تعظيم لا تقديس لأن التقديس لله وحده، وحب لا كحب النساء لأنه مجال الغرائز الساقطة والخواطر السافلة.[2]

محبة الأنبياء والأولياء تتبع محبته سبحانه، وهي من لوازم هذه المحبة، فإن محبة المحبوب توجب محبة مايحبه، وهذه المحبة تدخل صاحبها في الإسلام، وأحب الناس إلى الله تعالى أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.[3]

يخاطب الله عزوجل النبي ﷺ فيطلب منه أن يتوجه بهذا السؤال للمسلمين بقوله : " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم".[4]

وسمى بعضهم المديح النبوي بالغزل الديني ويقول د. مُحَمَّد التونجي : "الغزل الديني هو نوع من المديح الديني المخصص بالنبي ﷺ، إلا أن كثرة العواطف التي بثها الشعراء في أشعارهم وسموهم في المعاني وصدقهم في الأدباء أوجب استخدام ألفاظ غزلية وجدانية مما حوّل المديح النبوي إلى ما يدعونه بالغزل الديني وهو شبيه بالغزل العذري العفيف من وجوه،

* محاضِرة سابقة في جامعة الشهيدة بي نظير بوتو للنساء، بيشاور.

** محاضِرة في قسم اللغة العربية، جامعة بيشاور.

وشبيه جداً بشعر الحب الإلهي من وجوه أخرى ولكنهم طهّروا معانيه وناجوا به الذات المحمدية وخاطبوه مخاطبة مباشرة، وذكروا دياره في الحجاز".[5]

ظهر المديح النبوي في شعر الشعراء المخضرمين، ومن نماذج هذا النوع من الشعر في كلام سيدنا حسان بن ثابت ﷺ قوله:

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النســـاءُ

خُلِقتَ مبرأ من كل عيـــب كأنك قد خُلقت كما تشاءُ[6]

والشاعر كعب بن زهير له قصيدته المشهور التي مطلعها "بانت سعاد" كتبها في مدح النبي ﷺ، فيقول فيها:

إن الرسول لنور يُستضاء به مهند من سيوف الله مسلولُ[7]

ثم استمر هذا النوع من الأدب بعد المخضرمين، وبدأ في لغات الشعوب الإسلامية الأخرى إلى اليوم.

لو سئل المرء المسلم عن أحب الموضوعات لديه وآثرها إطلاقاً لكان جوابه المديح النبوي والسيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية، وذلك لأن السيرة النبوية هي الأسوة الحسنة لمن يرجو الله واليوم الآخر كما نرى في القرآن الكريم : "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة".[8]

وهي ثاني المصدرين التشريعيين وأحد الأمرين اللذين لن يضل من يتمسك بهما، والسيرة النبوية هي الوحي غير المتلو والنموذج العملي للإسلام، وهي المدرسة الأولى والأخيرة التي يتربى فيها كل مسلم.[9]

قال الله عزوجل في القرآن الكريم : "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين".[10]

عن أنس قال : قال النبي ﷺ : "لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" [11] وقال : "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار".[12] وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده".[13]

حب الندوي للنبي ﷺ :

إن الشاعر والكاتب المسلم يرى من سعادة نفسه وحسن حظه أن ينخرط في السلك الذهبي ليقول الشعر في المديح النبوي والسيرة النبوية لأن المجال الأول للالتزام في الأدب الإسلامي هو فن المديح، وخاصة — أبو الحسن علي الندوي — فهو الكاتب الذي له دور رائد في توجيه الفكر الإسلامي في العالم وإنعاشه بمكافحة الغزو الفكري وعرض الحضارة الإسلامية وتصوير الحياة الإسلامية وتحليلها والدعوة إلى الإسلام من جديد، وكان لكتاباتهم صدى عميق في سائر أوساط العلم والأدب في العالم الإسلامي وخاصة العالم العربي.[14]

ويقول عنه عبد السلام الأزهري : "الإمام الندوي له حظ وافر من حب الله ورسوله وكان قلبه غنياً بالفيض الرباني وكان ضميره الإنساني حياً معموراً بالتجليات الربانية وهو يحس في قلبه ذوقاً وحلاوة من الإيمان الثابت والحب الصادق".[15]

كانت لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي صلة عاطفية جياشة وحب وحنان وشوق وحرقة وانجذاب وتعلق شديد بمدينة الرسول ﷺ، وكان له شوق أمسى وعاطفة أقوى بشخصية النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام. ويتحدث عنه محمّد اجتباء الندوي ويقول : كان قد نشأ وترعرع في بيئة كريمة في أحضان الأم الرؤوم التي أرضعته لبان الحب للرسول الأعظم ﷺ والتشبع بروح دعوته والتضلع بحمل رسالته عليه أفضل صلاة وسلام.

وعاش في كنف أخيه الأكبر الرؤوف الكريم الأكرم فضيلة الدكتور عبد العلي الحسني رحمه الله فرباه على حب رسول الله ﷺ واتباع سنته والقيام بدعوته والجهاد في سبيل رسالته، وهيأ له كتباً صغيرة ميسرة على سيرة الرسول الأعظم ﷺ.[16]

بينما يرى الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أنه محمّدي، فيقول : "أما أنه محمّدي فلا أعني مجرد أنه من نسل الرسول ﷺ، ومن السلالة الهاشمية الحسنية فكم من حَسْنَين أو حُسينين تناقض أعمالهم أنسابهم "ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه" وإنما أعني أنه رجل جعل الرسول الكريم ﷺ أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها واتخذ سيرته نبراساً له في تعبده وزهده وإعراضه عن زخارف الحياة وزينة الحياة، فهو يعيش في الخلف عيشة السلف، لا يهتم بما يهتم به أمثالنا من متاع وتملك ورياض وزينة"[17] وقال أيضاً : "وحديثه عن الحبيب المصطفى ليس محض حديث باحث دارس بل حديث محب عاشق، معجب بهذه الشخصية الضخمة الفريدة، شخصية محمّد بن عبد الله ﷺ".[18]

صلة الندوي بكتب السيرة :

قرأ الشيخ الندوي بالأردية منذ صغره رسائل صغيرة في السيرة النبوية، وقد دخلها في سن مبكرة، لا يدخل فيها الأطفال في عامة الأحوال، والفضل في ذلك يرجع إلى الجو الذي كان يسود بيته وأسرته. وأخوه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني يختار له الكتب التي كان يحب أن يطالعها في صغره، فقد قدم إليه في أول ما قدم كتاب (سيرة خير البشر) وكتاب آخر كان له أثره البالغ العميق في نفسه، وهو كتاب (سيرة رحمة للعالملين) لمؤلفه القاضي محمّد سليمان المنصورفوري رحمة الله عليه الذي أثار في نفسه كامن الحب والذي لا لذة في الحياة بغيره ولا قيمة للحياة بغيره، هو محصول الحياة ولب اللباب، ويقول الندوي عن هذا الكتاب : "شعرت أثناء قراءتي لهذا الكتاب بلذة غريبة، إنها لذة تختلف عن جميع اللذات التي عرفتها في صغري — ولم أزل مرهف الحس قوي الشعور — فلا هي لذة الطعام الشهي في الجوع، ولا هي لذة اللباس الجديد في يوم العيد، ولا هي لذة اللعب في حين الشوق إليها، ولا هي لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية والاشتغال المرهق، ولا هي لذة الانتصار والظفر في المباراة، ولا هي لذة زيارة صديق قديم أو زائر كريم، إنها لا تشبه لذة من هذه اللذات. إنها لذة أعرف طعمها ولا أستطيع وصفها بدقة، وأعبر عنها بكلمة، إن غاية ما أستطيع أن أقول أنها لذة الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح؟ ولا يشعرون باللذة الروحية؟ بلى والله ! إن الأطفال أشف روحاً، وأصح شعوراً، وإن عجزوا عن التعبير".[19]

ويؤكد الكاتب الشهير محمّد اجتباء الندوي هذا المعنى بقوله : "لقد سرى فيه حب رسول الله سريان الدم في العروق، وهذا الحب هو الذي وقّد جمرة الإيمان المتدفق، والعقيدة القويمة الراسخة في شخصه وقلبه".[20]

ويعرف كل من له إلمام بحياة النبي ﷺ أنه كان درس وقرأ أكثر وأفضل ما كتب في السيرة، وكان في مقدمتها "السيرة النبوية لابن هشام" و "زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية".

ونرى أن الندوي ماقال الشعر في المديح النبوي ومع ذلك فقد كانت له مشاركة فعالة في المديح النبوي، وهذه المشاركة تتناول عدة محاور :

أولاً : إبداعات الندوي.

ثانياً : مشاركة الندوي في الندوات والمؤتمرات المنعقدة في المديح النبوي.

ثالثاً : ترجمات الندوي لشعراء المديح النبوي.

رابعاً : حب الندوي للعرب بحبه النبي ﷺ.

خامساً : رأي الندوي بالمديح النبوي عند الشيعة.

أولاً : إبداعات الندوي :

نجد العلامة الندوي يركز على سيرة النبي ﷺ ويجعلها محوراً لكتاباته وأحاديثه، ولا يخلو أي أثر له عن ذكر النبي ﷺ. وذلك لأنه رآه قدوة ووسيلة تربوية، والندوي يريد تنشأة الأبناء على حب النبي صلى الله عليه سلم القدوة الأولى للمسلمين والمثل الأعلى لهم لأن هذا الحب له عظيم الأثر في غرس العقيدة السليمة وتكوين الخلق الفاضل والسلوك المستقيم.[21] فلذلك كتب الندوي كتباً عن موضوع حب النبي ﷺ والسيرة ومنها :

السيرة النبوية، والطريق إلى المدينة، وقصص النبيين (سيرة خاتم النبيين) للأطفال.

1. السيرة النبوية : يشتمل هذا الكتاب على 463 صفحة، وقد طُبع الكتاب مرات كثيرة كانت أولها في القاهرة 1976م/ 1396هـ، وهي الطبعة التي سنعتمدها في هذا البحث، طُبع بأمر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر. عُني بطبعه ومراجعته خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وله فضل في وضع الخرائط التاريخية الجغرافية التي زين بها الكتاب وزاد في قيمته العلمية. وكان لفضيلة الشيخ برهان الدين السهلي أستاذ الحديث والتفسير في دار العلوم ندوة العلماء مساعدة كبيرة في تخريج الأحاديث والبحث عنه والتحقيق في بعض ماجاء في كتب السيرة، والأستاذ محيي الدين أحمد ساعد الندوي في دراسة المراجع الأجنبية.

أكمل الندوي هذا الكتاب في شوال سنة 1396هـ، ويقول الندوي عن سبب تأليف هذا الكتاب "أنه يريد أن يجعله الله ذخراً للآخرة ووسيلة لدراسة هذه السيرة الطاهرة والاستزادة منها والانتفاع بها. ويريد الندوي أن يثير كامن الحب والإيمان في نفس مؤمن وانجذاباً في قلب أحد من غير المسلمين إلى هذه السيرة الطاهرة العطرة وحملته على دراسة الإسلام وفهمه.[22]

2. الطريق إلى المدينة : يحتوي هذا الكتاب على 113 صفحة في طبعة المختار الإسلامي بالقاهرة، وهذه هي الطبعة الثالثة المتوفرة عندنا، وقد نُشرت في 1978م/ 1398هـ، وطُبع أول مرة في المدينة المنورة، وصدرت الطبعات الأخرى من دمشق وبيروت ولكهنئو.

وهذا الكتاب مجموعة مقالات ومحاضرات وأحاديث إذاعية تتعلق بحب النبي ﷺ، وهي انطباعات عن هذه الشخصية الحبيبة وسيرتها وحياتها، وعرض سريع لما قد تغنى به الشعراء والمحبون في ديار العجم، وقد أسمى الندوي هذه المجموعة الصغيرة بـ (الطريق إلى المدينة) فإنها تمهد الطريق إلى هذه المدينة وتبعث الأشواق إليها وإلى منورها عليه ألف ألف سلام.

قدّم علي الطنطاوي رحمه الله لهذا الكتاب ويتحدث عنه أنه لايحتاج إلى المقدمة، فيقول: "لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي، ولكني لما قرأت كتاب أبي الحسن (الطريق إلى المينة) أحسست بالشوق يعود فيعتلج بنفسي فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطيا جوهره بالغبار، فأزاح كتابك عن جوهره الغبار.

وكدت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أعد أجد عند الأدباء هذه النغمة العلوية التي غنّى بها الشعراء من لدن الشريف الرضي إلى البرعي. فلما قرأت كتابك وجدتها، وجدتها في نثر هو الشعر إلا أنه بغير نظام".[23]

من كلام الطنطاوي يظهر لنا أن قراءة هذا الكتاب للندوي يحث قلب المؤمن على رؤية المدينة المنورة ويشوق إلى المحبوب وديار المحبوب وأهله، وكلنا نعرف أن التشويق عنصر مهم من عناصر المديح النبوي.

ويقول علي الطنطاوي وهو يتحدث عن بلد الرسول ﷺ : "كيف لا يذوب قلب المسلم شوقاً إلى البلد الذي وطئ أرضه (محمّد) حبيب كل مسلم ﷺ ونشق هواءه وشرب ماءه، يمشي من حيث مشى الحبيب ويصلي حيث صلى، يدخل من حيث دخل".[24]

أما الندوي فقد قال عن تأليف هذا الكتاب : "ولما شب وتوجه بإخلاص وحماس إلى ميدان الدعوة وتجول في المدن والقرى والأرياف في بلاده وبلاد العالم والتقى بالمسلمين وقرأ مؤلفاتهم وجرائدهم أحزنه ضعف هذا الجانب عند المسلمين. فبدأ يركز عليه في محاضراته وخطبه ومواعظه وأحاديث المجالس وكلماته التي أذيعت من الإذاعات العربية والإسلامية".[25]

والندوي قد قال عن سبب تأليف هذا الكتاب أنه أفزعه ضعف العاطفة في هذه البلاد وضعف الصلة الروحية والعاطفة بالنبي ﷺ، وهو خطر كبير يمهد لكل ثورة، ولكل اضطراب، ولكل ضعف، ولكل نوع من أنواع الفوضى، وقد تمالأت عوامل كثيرة ودعوات عديدة على تجفيف منابع هذا الحب وإضعافه على الأقل، وأصيبت النفوس بجفاف في الشعور وفي التفكير سرى ذلك في الأدب والشعر وتعدى إلى الدين ومظاهره.

وقد أراد الندوي أن يكون جندياً صغيراً في مهاجمة هذا التيار وفي إثارة هذا الحب الدفين والعاطفة التي يعتقد أنها كامنة كشرارة في الرماد في قلب كل مسلم فجمع لتغذيتها وتنميتها.[26]

قد يظهر في هذا الكتاب براعة أسلوب الندوي الأدبي وقد أراد أن يثير الحب الدفين في أعماق النفوس.

3. قصص النبيين (الجزء الخامس) : وهو الجزء الخاص بسيرة خاتم النبيين ﷺ وقد اعتمد المؤلف في تأليف هذا الكتاب على تلخيص السيرة النبوية لابن هشام و"هو من أقدم كتب السيرة الموجودة الآن مطبوعة ومتداولة وأكثرها تأثيراً في النفوس والقلوب".[27]

هذه مجموعة من قصص الأنبياء التي كتبها أبو الحسن علي الحسني الندوي، وأصدرها مجلس نشريات إسلام كراتشي باكستان ويصف فيها سيرة الأنبياء وقصصهم وعظيم أعمالهم والصعوبات التي واجهتهم في سبيل الله وصبرهم عليها. هذه المجموعة تشتمل على خمسة أجزاء، والجزء الخامس سيرة النبي ﷺ. ومن قراءة "الجزء الخامس لقصص النبيين يعرف الطفل تاريخ الدعوة الإسلامية الأولى وفتوحاتها وانتصاراتها وعجائب التربية النبوية ومعجزاتها وخاصة التكاليف التي نالت من النبي ﷺ وأصحابه الاهتمام والعناية.

ثانياً : مشاركة الندوي في الندوات والمؤتمرات المنعقدة في المديح النبوي :

يهتم الندوي بتطوير قضية الأدب الإسلامي لحرصه على الحضور والاشتراك في تلك الندوات والمؤتمرات فقد كان الأدب الإسلامي عنده هدفاً أساسياً في حياته وكرس حياته لتطويره، وكما ذكرنا سابقاً فإن المديح النبوي هو المجال الأول للالتزام بالأدب الإسلامي.

فلذلك سنذكر الندوات التي عقدت بموضوع المديح النبوي ﷺ واشترك الندوي فيها أو كان يحرص على حضورها

وإلقاء مقالاته فيها.

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في الهند في جامعة كاشف العلوم بأورنك آباد بموضوع "الندوة العلمية حول المدائح النبوية في الفترة مابين 25-27 صفر 1409هـ الموافق 7-9 أكتوبر 1988م. فكانت هذه للندوي مناسبة رائعة فريدة من نوعها لأهمية الموضوع وتأثيرها على القلوب، وكان من الطبيعي أن تقبل النفوس عليه وتعنى الصحف والمجلات بنشر تقاريره ويحضر عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء، ومن مختلف أنحاء الهند وخارجها، فكانت الندوة مناسبة روحانية خاصة، تهب فيها نفحات الحب لذات الرسول ﷺ والهيام به.[28]

وقد شارك الندوي في هذه الندوة وألقى محاضرة بعنوان "جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية" وتكلم عن الشعراء الذين أنشدوا شعراً في مدح النبي ﷺ في اللغتين الفارسية والأردية.

وقد أشار الندوي في كلمة الافتتاحية إلى أهمية هذه الندوة وقال : "إن هذه الندوة التي نشارك فيها اليوم تحمل ميزة كبيرة، وهي أنها تنتمي إلى ذات الرسول ﷺ الذي له المنة العظيمة على الأدب والشعر والمدنية والفلسفة بالإضافة إلى منّته على النوع البشري والجيل البشري والبقاء البشري".[29]

ثم عقدت الندوة العالمية لرابطة الأدب الإسلامي في الجامعة السلفية بناوس – الهند في 21- 23 أبريل 1994م. وألقى الندوي رحمه الله محاضرة فيها بعنوان – أدب الحديث النبوي – وتكلم عن خصائص مدرسة الحديث النبوي الأدبية والبيانية وفي إطار واسع، وفي ضوء نماذج أدبية، بيانية، تعبيرية.[30]

يتحدث الندوي أن للسنة النبوية والحديث الشريف دور كبير في حياة المسلمين، فيقول : "واقع حياة النبي صلى الله عليه وسلم المباركة، وإرشاداته وتعاليمه تخلق ذلك الجو الذي تخضر فيه شجرة الدين، وتورق وتثمر، إن الدين ليس من الضوابط الخلقية الجافة، إنه لا يبقى حياً بدون العواطف والوقائع، والأمثلة العملية، وخير مجموعة موثوق بها لهذه العواطف والوقائع، والأمثلة العلمية هي مجموعة الحديث النبوي التي أصبحت من خصائص الأمة الإسلامية.[31]

ويقول الندوي رحمة الله عليه عن فصاحة النبي ﷺ وبلاغته : "أفصح العالمين لساناً وأبلغهم بياناً وقد اجتمع له من صفات البليغ مالم يجتمع لأحد قبله، ولا يجتمع لأحد بعده، زد على ذلك أن لسانه مجرى الوحي، فكان مرتعاً بعد السيل، كان مطاع اللفظ مثقف اللسان، سهل اللفظ، صاحب معجزات وآيات في اللسان العربي".[32]

ثالثاً : ترجمات الندوي لشعراء المديح النبوي :

الترجمة تلعب دوراً كبيراً في خلق الحوار بين الآداب المختلفة وتضييق الفجوة بين مختلف الحضارات والثقافات وتأتي الترجمة في أولويات اهتمامات الأدب الإسلامي والعاملين في مجاله، لما لها من فوائد كثيرة بين الشعوب المسلمة التي تختلف لغاتها ولكنها تلتقي حول الإسلام ديناً لها، وقد شجعت رابطة الأدب الإسلامي العالمية الأدباء الذين عندهم إحاطة بأكثر من لغة للقيام بهذا العمل الدقيق الذي يساعد على تقليص المسافات بين الأدباء الإسلاميين والتعرف على بعضهم بعضاً من خلال الترجمة لأدبهم الإسلامي. اهتم الندوي بالترجمة وكانت معظم الأبيات التي قام بترجمتها تتناول المديح النبوي ومن هؤلاء الشعراء الذي نظموا أشعارهم بالأردية والفارسية وسنذكر هذين القسمين هنا.

أولاً : الشعر الأردي :

الشعراء الذين نظموا أشعارهم باللغة الأردية عن المديح النبوي وترجم لهم الندوي، هم :

1. ألطاف حسين حالي: الأبيات المترجمة من "مسدس حالي" 33 وترجمها الندوي للعربية في كتابه الطريق إلى المدينة ص99.
2. ظفر علي خان : الأبيات الستة الأولى من قصيدته بعنوان "نعت" ترجمها الندوي في كتابه الطريق إلى المدينة، ص 100-101.
3. حفيظ الجالندهري : اختار الندوي البيت الثالث والسادس والسابع والثامن والتاسع، من نعت من ملحمته الإسلامية المشهورة "شاهنامة إسلام"[34] وترجمها إلى العربية في كتابه الطريق إلى المدينة ص 101.

ثانياً : الشعر الفارسي :

1. الشيخ السعدي : البيتان المترجمان في المديح النبوي السادس والعاشر من قصيدة "شاليش بيغمبر" من "كليات سعدي" وترجمتها إلى العربية في كتاب الندوي الطريق إلى المدينة ص 91.
2. أمير خسرو : ومن ترجمة الندوي قوله بالمديح النبوي عن النبي ﷺ : "إن أنفاسه وأخلاقه قد نفخت الحياة في العرب الذين كانوا في الاحتضار، وأطفأت في وقت واحد شعلة أبي لهب الوهاجة التي كانت تأتي على الأخضر واليابس، إنه وصل في خطوتين من هذا العالم إلى ذلك العالم، وفي جولة من العالم المادي إلى العالم الروحي".[35]
3. عبد الرحمن الجامي : ومن ترجمته قوله : (يامن نسبه عربي، ولقبه أميّ، لقد دان بولائك، وخضع لسيادتك العرب والعجم سواء، إن فصاحتك استأسرت العرب، وإن ملاحتك ملكت قلوب العجم، ماضرك أن لا تقرأ ولاتكتب، فبفضل جهودك، وبعثتك، تعلم الأميون، ونبغ الجاهلون، بك ابيضّت صحيفة الأعمال، وأشرق نورك في الظلمات، فلا ضير أن تخط سواداً على بياض، أو تضم سواداً إلى سواد).[36]
4. مسعود علي المحوي : ومن ترجمته قوله : (رفعت الفطرة اللثام عن وجهها وتجلت بأجمل مظاهرها وفعلت فعل الربيع، فكُسيت الأرض لباساً أحمر من الزهور والورود، ذلك كله لأجل بعثة مُحَّد ﷺ، إن نظره يعمل عمل الكيمياء فيحول الخزف الأسود الذي لا قيمة له تبراً خالصاً، وذهباً وهاجاً، إنه سيد استطاع من غير جيش وكتائب، أن يجعل من التائهين في البادية ملوكاً يحكمون العالم، وأساتذة يعلّمون الأمم).[37]
5. العلامة مُحَّد إقبال : تأثر الندوي بالعلامة مُحَّد إقبال تأثراً واضحاً، فهو قد رأى أن إقبالاً يوافق هواه في كثير من الأمور، مثل نقده للحضارة العربية، وخاصة حب إقبال للنبي ﷺ، فلذلك قام الندوي رحمه الله بترجمة أشعار إقبال إلى العربية، وسنذكر هنا أشعاره في المديح النبوي ويرى الندوي أن إقبالاً يشتد إيمانه بالرسالة المحمدية وحبه وغرامه لشخصية مُحَّد ﷺ، ولما ذكر النبي ﷺ اندفع الشاعر بمدحه وأرسل النفس على سجيتها، فقال أبياتاً لا تزال تعد من غرر المدائح النبوية والشعر الوجداني ويقول : إن قلب المسلم .... وحنت إليه سارية المسجد.[38]

ويقول عنه الندوي : "كان شديد الإيمان بالإسلام ورسالته، قوي العاطفة، شديد الإخلاص والإجلال للرسول ﷺ، متفانياً في حبه، مقتنعاً أن الإسلام هو الدين الخالد الذي لا تسعد الإنسانية إلا به وأن النبي ﷺ هو خاتم الرسل والبصير بالسبل، وإمام الكل، ويقول إقبال عن حبه للمدينة، لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لبي، ويغشي بصري، وذلك لأني اكتحلت بأثمد المدينة".[39]

رابعاً : حب الندوي للعرب بحبه للنبي ﷺ :

لقد أبدى أبو الحسن اهتماماً كبيراً بالعرب بمشكلاتهم المختلفة وبنهضتهم وهويتهم باعتبارهم عصبة الإسلام وأهل

الرسول الكريم ﷺ. ففي مكة المكرمة ظهر الإسلام ونزل القرآن على خاتم الأنبياء والمرسلين النبي الأمي مُحَّد بن عبد الله ﷺ ثم حملت المدينة المنورة الراية، حتى عم نور الإسلام الجزيرة العربية، ونزل الوحي الأول على مُحَّد العربي القرشي الهاشمي، فوُلد العالم من جديد.

لقد كان للعرب — بدون ريب — دور كبير بفضل الإسلام وبمحمد رسول الله ﷺ. والندوي يريد أن يستعيد العرب مكانتهم العالية فيتحدث ويقول : "إنك تجودين أيتها الجزيرة العربية بمقدار عظيم من بترول أدير به ماكيناتي وأسير به عجلاتي، فأنا أدين لك بالفضل وأشكر صنيعك ولكنني كنت أنتظر منك — أيتها الجزيرة السعيدة — يامولد النبي الرحمة شيئاً أعز وأثمن من الذهب الأسود، كنت أنتظر منك أن تخرجي لي عجلة الحياة التي غاصت في الوحل، وأن توجهيها التوجيه الصحيح، وأن تخلصي ركابها من هذا المأزق، وقد عجزت حكمة الحكماء وصناعة الصناع من إخراجها فأخرجيها بما معك من حكمة النبوة وبقية قوة الرسالة والإيمان واليقين وسيري بها بنور الشريعة الإلهية والهداية الإسلامية".[40]

ويقول : "جودي عليّ أيتها الجزيرة بنفحة من نفحات مُحَّد ﷺ، أحلّ بها مشاكل حياتي وألغاز مجتمعي، وأحيي بها موات قلبي، وأطفئ بها جحيم المادة التي أحاطت نيرانها بهذه المدنية بكل فضيلة إنسانية".[41]

وقال الندوي رحمه الله في كلمة ألقاها في قاعة المدرسة الثانوية بالمدينة المنورة بعنوان "الطريق إلى نصر" في 16 من شعبان سنة 1388هـ وكان حفلاً مشهوداً حضره كبار العلماء والأساتذة وشباب المدارس والجامعات : "إن الله ربط مصير العرب بقدم مُحَّد ﷺ، إن الله ربط سعادة العرب بمحمد بن عبد الله، لم يربطها بقائد اشتراكي أو زعيم قومي، لا تقوم للعرب قائمة حتى يمشوا في ركاب مُحَّد ﷺ، إن الله سبحانه وتعالى يوم بعث مُحَّد ﷺ في مكة في اليوم الذي بعثه قرر في ذلك اليوم وفي تلك الساعة وفي تلك اللحظة أن مصير الإنسانية مربوط بهذا الشخص الكريم، وأنه لا سعادة بغير قيادته وبغير اتباعه".[42]

خامساً : رأي الندوي بالمديح النبوي عند الشيعة :

قضى العلامة الندوي عشرة أيام في إيران حين زارها كرئيس لوفد رابطة العالم الإسلامي عام 1493هـ وجمع خلال هذه الزيارة مشاهداته الدقيقة وانطباعاته الجميلة، وملاحظاته الإيجابية الصريحة، وتحدث عن التقريب بين المسلمين، وملأ الهوة الواسعة بين أهل السنة والشيعة وعن دعائمها الضرورية وأساليبها الطبعية الصحيحة وأشار إلى مواضع ضعف تحتاج إلى بناء وإصلاح، فهو يقول : "إننا شعرنا في كل مجتمع ينتمي إلى الطريقة الإمامية أن الصلة العاطفية والحماس الداخلي في حب أهل البيت وتعظيم الأئمة — الذين كانوا أئمة الهدى ومصابيح الدجى ولا يشك في ذلك مسلم —كاد يشغل كل الفراغ في النفس والعاطفة والعقل والضمير، ونخشى أن يكون قد أخذ الشيء الكثير من حق النبوة التي هي مصدر كل خير وسعادة، ومن شخصية الرسول الأعظم الذي نال به أهل البيت الشرف واستحقوا الحب والتعظيم، وإنه نما وازدهر على حساب الصلة العميقة التي يجب أن تكون بين المسلم وبين نبيه ﷺ.

وقد ظهر ذلك الأثر في الشعر الذي قاله شعراء إيران في مدح النبي ﷺ، وفيما قالوه في مناقب أهل البيت وخاصة في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسيدنا الحسين بن علي، فيفوق الثاني الأول في قوة العاطفة والتعبير عن القلب، والقدرة الشعرية، وتدفق القريحة.[43]

وقال أيضاً : "ولمسنا هذا الفرق في الشعر الذي قاله شعراء الأردو في الهند من إخواننا الجعفريين، والشعر الذي قالوه في المديح النبوي، ولمسناه في الشعر الفارسي، ورأينا هذا الفرق في الكتب التي أُلفت في السيرة النبوية وفي مناقب أهل

البيت كماً وكيفاً، ورأينا الفرق الواسع بين العناية بالمشاهد والعناية بالمساجد، وبين الشوق إلى السفر إلى النجف وكربلاء والعتبات العاليات، والسفر إلى الحرمين الشريفين".[44]

والندوي رحمه الله يبين هذه الفكرة في مقالته الأخرى فيقول : "إن الشيعة لم يتمكنوا من تأليف كتاب قوي مؤثر في السيرة النبوية ولا أن شعراءهم النابغين وفقوا إلى نظم نبويات قوية مؤثرة ومدائح نبوية تتجلى فيها العاطفة القلبية في المديح الشعري للنبي ﷺ، وتتدفق فيها القريحة الوقادة، كما نرى ذلك في شعر المراثي ومناقب أهل البيت وتصوير ما حدث في كربلاء بأسلوب ساحر وشاعرية بليغة، ولا نبغ فيهم شاعر للمديح يضاهي شعراء الهند الذين علا كسبهم في شعر المديح".[45]

وهو يتحدث عن ميزات الشعراء والأدباء في الهند فيقول : "تدفق شعر المديح النبوي في قوته وتأثيره، ورقته وعذوبته، فقد ابتكر هؤلاء الشعراء معاني وأخيلة وجاؤوا بنبويات لا مثيل لها في الأدب العربي عبر القرون، فقد ضعف هذا الصنف في الشعر العربي – بعد قصيدة البوصيري الميمية وبعد نبويات عبد الرحيم البرعي ضعفاً شديداً، ولا يزال سر هذا التدفق والقوة والتأثير موضوع تفكير الباحثين، وعلماء الأدب، وقد علله بعضهم بالبعد والهجر، فلهذين تأثير كبير في تفجير ينابيع القلب والحب وتوليد المعاني الغريبة، وإثارة الكنوز الدفينة.

وقد استعاض كثير منهم عن الرحلة الطويلة المملؤة بالأخطار في أطول مدة قضاها المسلمون بقصائد المديح، فقد كان الزمن زمن القراصنة البحريين، وزمن السفن الشراعية، والطرق غير آمنة، والانتقال من مكة إلى المدينة لم يكن مأموناً، وقوافل الحجاج تتعرض للخطر والقارة، فاستعاضوا عن السفر بالشعر للتعبير عن حنينهم وأشواقهم، ولم يزل الشعر بريد القلب والشوق".[46]

الخاتمة :

وهكذا فقد رأينا جهوداً بذلها أبو الحسن الندوي رحمه الله في المشاركة بالمؤتمرات والنشاطات التي تتعلق بالمديح النبوي وأتحفنا بترجماته لشعراء غير العربية الذين قدموا أشعارهم في مدح النبي ﷺ، وظهرت لنا آراءه النقدية من خلال ذلك كله إلى جانب تطرقه لرأيه في شعر الشيعة الذي لم نعرف أحداً سبقه إليه أو أشار إليه.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش والمصادر:

[1] إبراهيم مُحَمَّد حمزة، المديح النبوي فن محبة الرسول، الركن الأخضر، 18-03- 2008 الثلاثاء.

[2] مُحَمَّد الرابع الحسني الندوي، الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، تقديم : أبو الحسن علي الندوي، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985م/ 1405هـ، ص 86.

[3] مُحَمَّد أحمد درنيقة، معجم شعراء الحب الإلهي، ط1، دار مكتبة الهلال، 2000م، ص21.

[4] آل عمران : 31

[5] د. مُحَمَّد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1999م، ص 670 -671.

[6] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح وتقديم : عبدأ مهنا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م/ 1414هـ، ص21.

[7] ديوان كعب بن زهير، تقديم : د. نصر الحي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م/1414هـ، ص 13.

[8] الأحزاب : 21.

[9] مُحَمَّد فهيم اختر الندوي، السيرة النبوية لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، ثقافة الهند، ع/4، نيودلهي، الهند، ص 370.

[10] التوبة : 24.

[11] النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1420هـ، 8/ 488، رقم الحديث : 5028.

[12] السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 25/2، رقم الحديث : 3415.

[13] البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم الحديث : 15.

[14] واضح رشيد الندوي، أدب الصحوة الإسلامية، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2005م، ص72.

[15] عبد السلام الأزهري، الإمام أبو الحسن الندوي ومنهجه في الفكر والدعوة والإصلاح، ط1، دار الفكر، دمشق، 2008م، ص45.

[16] مُحَمَّد اجتباء الندوي، أبو الحسن علي الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، ط1، دار القلم، دمشق، 1421ھ/2000م، ص111.

[17] يوسف القرضاوي، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، ط1، دار القلم ، دمشق، 2001م، ص11-12.

[18] المصدر نفسه.

[19] أبو الحسن علي الندوي، الطريق إلى المدينة، ط3، المختار الإسلامي، القاهرة، 1978م/ 1398ھ، ص14-15.

[20] مُحَمَّد اجتباء الندوي، أبو الحسن علي الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، ص111.

[21] المصدر نفسه، ص 160.

[22] أبو الحسن علي الندوي، السيرة النبوية، (د.ط.ت)، خليفة بن حمد آل ثاني، قطر، ص 17.

[23] الندوي، الطريق إلى المدينة، (مقدمة) ص 10-11.

[24] المصدر نفسه، ص9.

[25] مُحَمَّد اجتباء الندوي، أبو الحسن علي الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، ص 112.

[26] الندوي، الطريق إلى المدينة، ص 6.

[27] الندوي، قصص النبيين، ج5، ص4.

[28] أبو الحسن علي الندوي، في مسيرة الحياة، ط 1، دار القلم : دمشق، 1998م، 10/3.

[29] أبو الحسن علي الندوي، محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق : سيد عبد الماجد الغوري، ط1، دار ابن كثير: دمشق، 2001م، 3/ 491-492.

[30] المصدر نفسه، 3/ 594-595.

[31] أبو الحسن الندوي، نظرات في الحديث، ط1، دار ابن كثير: دمشق ، 1999م، جمع وتقديم الأستاذ بلال الحسني الندوي، ص15-16

[32] أبو الحسن علي الندوي، مختارات من أدب العرب، ط1، تعليق : أبو الفضل عبد الحفيظ البلياي، دار ابن كثير: بيروت، 1999م، 25/1.

[33] ألطاف حسين حالي، مسدس حالي، (د.ط.ت)، نديم يونس بيرنترز، لاهور، ص18.

[34] د. غلام حسين ذو الفقار، ظفر على خان أمير وشاعر، (د.ط) مكتبة خيان أدب، لاهور، 1967م، ص166.

35 الندوي، الطريق إلى المدينة، ص 93، والأبيات بالفارسية ما وجدتها في ديوانه، وانظر البيت : أبو الحسن الندوي، كاروان مدينة (د.ط) مجلس نشريات إسلام، كراتشي، 1978م، ص 193.

36 الندوي، الطريق إلى المدينة، ص 194، ولم أجد الأبيات في ديوانه.

37 المصدر نفسه، ص 97 و98، ولم أجد ديوانه.

38 أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، ط4، مجلس نشريات إسلام، كراتشي، 1983م/ 1403هـ، ولمراجعة الأبيات بالفارسية انظر : أسرار ورموز، إقبال، ط14، غلام علي برنترز، أشرفيه بارك، لاهور، 1990م، ص 19-20.

39 روائع إقبال، ص 35، والبيت بالأردية : خيره نه كرسكا مجهى جلوه دانش مرنك سرمه هي سيرى آنكه كاخاك مدينة ونجف ، انظر : مُحَمَّد إقبال، بال جبريل، (د.ط)، غلام علي بيرنترز، أشرفية بارك، لاهور، 1996، ص 40.

40 أبو الحسن علي الندوي، العرب والإسلام، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ، ص 17، 20.

41 أبو الحسن علي الندوي، أسمعيات، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2002م، ص 19، 20.

42 الندوي، العرب والإسلام، ص 4.

43 الندوي، أسمعيات، ص 65.

44 أيضاً.

45 أبو الحسن الندوي، صورتان متضادتان، (د.ط)، 1985م، ص105.

46 أيضاً.